أحن من أمي

بقلمي

أسماء محمد خضر

ربت على كتفها بهدوء ثم قبّل رأسها قائلاً: سلمي حبيبة أبيها ووزيرة المستقبل، كيف حالها وكيف مذاكرتها.

عانقته بشده ثم قبلت يديه: بخير حال يا أبي

تدخلت أمها: أنت من تفسد عقلها بحديثك هذا، فالبنات لبيت زوجها.

العلم والعمل يا زينب سلاح للفتاة، كما أن الزواج ليس محور حياة إنما هو رزق مثل باقي الأرزاق ان أتى فهو فضل وان لم يأتي فهو رحمة من الله

باتت سلمى الآن في السنة النهائية ولم يعد أمام حلمها وحلم والدها إلا عدة شهور فقط ولكن تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن، فقد تعرض والدها لحادثة مروعة قبل امتحاناتها بأسبوع لم تستطع على اثرها الحصول على أي تقدير، فبالكاد حصلت على درجات النجاح كذلك زينب لم تسلم من الصدمة فقد مرضت بشدة وبالكاد تستطيع الحركة فكانت سلمى ترعاها وتساعدها في كل أمورها وانشغلت عن دراستها

برعاية أمها فلم تحصل على أي تقدير أيضا في الترم الثاني فسبقها أقرانها ممن كانوا ينافسونها في أوائل الدفعة ولم يحالفها الحظ للتعيين كمعيدة في الجامعة

ما هي الا أيام مضت بعد ظهور النتيجة حتى جاء أقارب والدها لإعلان الميراث وأن يأخذ كلُ حقه أخبروها أنهم صبروا عليها حتى تنتهى من الامتحانات حتى لا يشغلوها ولولا أنه حق الله لما فكروا في الامر

بعد القسمة لما يبقى لهم الكثير من المال إلى جانب الشقة لم تكن ضمن الميراث فقد كتبها أبيها باسمها منذ ولادتها

مضت شهورا على تخرج سلمى من الجامعة لم تستطع خلالها التقدم لأى وظيفة بسبب مرض والدتها فهى لا تستطيع تركها بمفردها فاقترحت على والدتها تأجير أحد المحلات لبيع الكتب والأدوات المدرسية وافقت أمها وبدأت سلمى في اتخاذ الخطوات اللازمة إلى أن وفقها الله وأتمت عملها حتى أصبحت المكتبة جاهزة ثم قامت بعمل إعلان لمن يريد أن يعمل بها حتى يتسنى لها الاعتناء بوالدتها فتقدم للعمل بالمكتبة إحدى صديقاتها القدامى والتي كانت تسكن في نفس شارع المكتبة والتي تقع في الشارع المجاور لمنزل سلمى

زاد الألم والمرض على والدة سلمى فاتصلت سلمى بالطبيب وبعد الكشف طلب بعض التحاليل وأن يذهبوا إلى المشفى لمقابلته فور ظهور النتيجة ولعمل بعض الأشعة

ظهرت نتيجة التحاليل بعد أسبوع وبمجرد رؤية الطبيب للأشعة تغير وجهه فاستأذنته زينب وطلبت من سلمى أن تذهب لكى تحجز لها في عيادة الأشعة وما إن خرجت سلمى حتى نادى عليها الطبيب أن تنتظره فقاطعته زينب وطلبت منه أن يتنظر معها إلى أن تأتى سلمى،

ساد الصمت لفترة إلى أن تكلمت زينب

أعرف أننى مصابة بالسرطان أعرف كل هذه الأعراض قد مررت بها من قبل مع جارتي، كل ما أطلبه أن أعرف كما بقى لي أعرف أنه لما يبقى أمامي الكثير فأخبرني كم شهرا أو كم يوما

أجابها والدموع تملأ عينه: الأعمار بيد الله ولا أحد يعرف متى ينتهى أجله

مسحت دموعها ببطيء وأكملت: أرجو ألا تخبرها فإخبارها لن يفيد بشيء ومدام الحزن يمكن أن يتحمله شخص فلا يهم أن يحمله اثنين فلنترك واحدا يحاول أن يسعد الآخر

بكى بشدة قائلا: أعدك ألا أخبرها

عادت إلى المنزل ومعها سلمي توضأت وصلت ركعتين وظلت تدعو الله أن يرزق ابنتها قبل موتها زوجا يكون سندها وأنيسها فهي لا تريد أن تتركها بمفردها فتكون مطمعا لضعفاء النفوس

مرت الأيام والمرض ينهش في جسد زينب ولم يتقدم أحد لخطبة سلمى وكأن القدر يعاندها فبدأت هي في البحث لها عن عريس فاتصلت بإحدى جارتها وسألتها عن رقم الخاطبة التي كلمتها عنها حتى تبحث عن عريس لسلمى فهى تريد ان تراها عروسا قبل موتها دخلت سلمى أثناء المكالمة وسمعت كل ما قيل

يا أمى لما تهدرى كرامتى هكذا فكل رزق نسعى إليه إلا الزواج فهو رزق يسعى إلينا خاصة البنات فلا تجرحينى هكذا وترخصينى في أعين الناس

لا آمن عليكِ الوحدة بعد موتى أريد أن أراكِ في بيت زوجك يكون سندك بعد موتى فأقارب والدك لن يسألوا عنكِ وأنا كما تعلمين ليس لى أقارب فأمك كانت وحيدة وليس لنا أحد إلا الله

فقاطعتها سلمى نعم يا أمى قد قلتها بلسانك لنا الله ولنا يضيعنا

فصمتت والدتها ولم تنطق بأي كلمة، وفي اليوم التالي أرسلتها والدتها للسوق ثم اتصلت بجارتها تسألها على رقم الخاطبة فأعطته إياها واتصلت بها والدة سلمى تطلب منها عريسا ذو خلق بشرط أن ترسله دون ان يقول أن الخاطبة من أرسلته بل أحد الأقارب وتقدم لها أكثر من شاب ولكن يبدو أن أمر الله لم ينفذ بعد فسلمى كانت لا تشعر بأى قبول تجاه أحد وكان هذا سبب الخلاف بينها وبين والدتها مما جعلها تشعر بالحزن والقلق تجاهها تخاف أن تموت وتتركها وحدها خاصة بعد أن اشتد عليها المرض وعرفت من الطبيب أنه قد وصل مرحلته الأخيرة استودعت صحتها وعمرها عند الله وظلت تدعو الله أن يطيل في عمرها حتى ترى ابنتها عروسا في بيت زوجها

وفى أحد الأيام زارتها جارتها وأخبرتها: أن قريبها محمود يبحث عن عروس وهو شاب ذو خلق حاصل على دبلوم تجارة يعمل فني في محطة الكهرباء وقد رأى سلمى الأسبوع الماضي ويريد أن يأتي ويطلب يدها.

أريده أن يأتي أولا لمقابلتي

حسنا سأخبره بما قيل

لحظات و جاءت إليها بالرد وأنه موافق أن يأتي اليوم لمقابلتها قبل أن يسافر لعمله

نادت زينب لسلمي: اذهبي وراجعي أعمال المكتبة فجارتنا معي لا تقلقي و "المال السائب يعلم السرقة" ما إن نزلت سلمي حتى وصل محمود

بدأت زينب بالكلام: أي بنى جل ما أطلبه هو أن تكون سندا لابنتي فلا أعلم كم سأعيش لها فابنتي طيبة القلب قنوعة لا تريد إلا زوجا صالحا

استغرب محمود حديثها ووعدها بأن يكون عند حسن ظنها ثم تكلم معها في كل التفاصيل الخاصة بالزواج

زينب: لن نختلف فالشبكة تقدير منك لابنتي ومهما كان فهي في بيتك إن أردتها في أي وقت فلن تبخل سلمى عليك فهي أصيلة مطيعة

زاد استغراب الشاب وطلب منها أن تكون مدة الخطوبة سنة ونصف حتى يتسنى له تجهيز بيته

زينب بحنو: لا داعى لكل هذه الفترة فلتعيشوا معي هنا فلا أريد أن أعيش بمفردي وكما ترى فالبيت به كل شيء، فقط اشترى غرفة نوم جديدة لكما ولا نريد غير هذا فقد توسمت فيك الخير يا بني

أكملا حديثهما ثم استأذن محمود تاركا لهما مهلة للتفكير كما طلبت حتى يتسنى لها أن تأخذ رأى سلمي

وما إن عادت سلمى حتى تكلمت معها والدتها فرفضت سلمى بشدة فهي لا تريد أن تأخذ من هو أدنى منها تعليما وثقافة ولكن والدتها أصرت على أن تقابله الأسبوع القادم مضت الأيام وجاء محمود وجلس مع سلمى سألته عن كل ما يجول بخاطرها ثم فاجأها بسؤال غير متوقع لما وافقتِ مع أننى لم أحصل حتى على مؤهل عال

فأجابته سلمى أن الأهم هو الثقافة وإن كانت تعلم في قرارة نفسها أنـه من اختار الثقافة فقد اختار العلم وسوف يرتقى بنفسه في مراتب العلـم وانتهى اللقاء على أن ينتظر جوابا من سلمى

وما إن خرج من الباب حتى أعلنت سلمى رفضها

لا تتسرعي في قرارِكِ أن استخيري وأعطى نفسك فرصـة كـي تفكـري فربما يكون هذا الشخص المناسب

لا يبدو أنه مناسب يا أمي كلامه يوحى بعدم الثقافة وانعدام الطموح لـم يتأثر بصوت الآذان

أكنت تريدينه أن يذهب ويتركنا ليصلى

لا أقصد ولكنه حتى لم ينتبه له من يصلى لا يكون قبل الآذان كبعده بـل يخشى أن تفوته صلاة يستعجل الحديث حتـى يلبـى النـداء ولكنـه أطـال حديثا فوق الحديث حتى حانت العشاء ضيع صلاته وصلاتي

تمهلي ولا تتعجلي وأعطي لنفسك مهلة للتفكير

لم تمضى أيام حتى اشتد المرض على زينب فوقعت مغشيا عليها وتم طلب الإسعاف وبعد عمل التحاليل اللازمة عرفت سلمى ان والدتها مصابة بالسرطان وأنه في مراحله الأخيرة، صدمت سلمى من الخبر

أخبرت الطبيب: إنها لم تكن تعانى من أي شيء فكيف يكون المرض انتشر بهذه السرعة

ان المرض موجود منذ البداية ولكنه كان خاملا ولكن لابد أنها تعرضت لصدمة شديدة أدت إلى نشاط الفيروس من جديد

أنها مريضة منذ وفاة والدي و أصيبت بالمرض منذ عشرين عاما وكانت الإصابة في الرحم ولكن تم استئصاله

المرض لا يتم القضاء عليه ولكن يتم خموله والرغبة في الحياة هي من جعلت الفيروس يندثر ولم يظهر ولكن عند أول صدمة وعدم الرغبة في الحياة نشط الفيرس بشدة

وما الحل الآن

لا يوجد علاج في المراحل المتأخرة ولكن سنكتب لها مسكنات حتى لا تشعر بأى ألم إلى أن .... ثم صمت الطبيب ولم يكمل

فردت عليه سلمى على الفور بلهفة إلى أن ماذا

الأعمار بيد الله ولكن لم يبقى أمامها الكثير فالمرض ينهش في جسدها بسرعة رهيبة

أجهشت سلمى في البكاء وفزعت إلى غرفة والدتها وعندما دخلت كانت قد مسحت دموعها ولكن قلبها مذبوحا وعينها مليئة ببحور من الدموع

نظرت إليها زينب وقالت: أعرف أن الأجل قد حان وأنه لم يبقى أمامي الكثير فأريد أن أعيش معك ما بقى دون حزن

فأومأت سلمى برأسها ثم دفنت نفسها في أحضانها علها تأخذ ما يكفيها من حنان لسنوات قادمة

خرجت سلمى ووالدتها من المشفى وما إن وصلتا للمنزل حتى قالت سلمى أنها موافقة على الشاب الذى تقدم لخطبتها أرادت بذلك أن تدخل الفرح على قلب والدتها فقد اختفت ابتسامتها منذ وفاة والدها وتريد أن تعيدها إليها.

تم تحديد ميعاد الشبكة الاسبوع القادم يحاربون الوقت بأقصى جهدهم، أما عن محمود فلم يفهم جيدا ، أخبرهم أن مقدرتـه شراء دبلـة وخـاتم فقط، اعتقد أن في الأمر سرا أو غموضا فلم يرد أن ينفق ما لديه حتـى إذا أراد الفكاك لا يخسر كثيرا عروس فرصة لم يخسر فيها كثيرا حتـى غرفة النوم أهدتهم زينب إياها، اشتروه فباعهم بثمن بخس.

ثلاثة أشهر وتم الزفاف، عاش محمود وسلمي مع زينب لم يحب سلمي ولا يعاملها بلطف وسلمي تخفي حتى لا تزيد ألمها أمها سحقا له ظنهـا لقمة سائغة لأنه لم يبذل جهدا للفوز بها، لم يمضي شهرين حتى ماتـت أمها، حزنت سلمي فقد ودعها من كان يخفف آلامها ويؤنس عيشتها

لم يمضي شهرا حتى أخبرها محمود

سأذهب للعمل في محافظة القاهرة

لا أستطيع أن أعيش بمفردي هنا أما تأخـذني معك أو تظـل فـي عملـك هنا

لا يوجد سكن هناك كما أن الأجر هناك أعلى أعدك أن آتي كل أسبوع

سافر محمود على الرغم من رفض سلمي، وكان يأتي كل أسبوع وطالت المدة لأسبوعين وأكثر، استوحشت وحدتها وهو يرفض أن يأخذها معه، ذهبت للطبيب لتعرف سبب تأخر الزواج أخبرها بعدم وجود سبب ولكن لابد من وجود زوجك في أوقات معينة حتى يتم الله لكما الأمر ويرزقكم إن شاء

أخبرت محمود بما قاله الطبيب تعلل بعمله وطالت مدة غيابه لشهر وأكثر، لم تعد تطيق فالزواج لها لقب لا غير، استخارت الله وطلبت الطلاق، لم يفكر كثيرا وافق على شرط أن تتنازل على كل شيء حتى الشبكة أخذها وأخذ كل ما بالشقة، ضحت بالمال من أجل كرامتها.

غرس الملل براثنه في قلبها فتوجهت للعمل بإحدى المدارس الخاصة فكانت تعمل وتذهب للمكتبة ليلا لا تريد العودة لذلك المنزل الفاقد للروح والأثاث

وفي أحد الأيام وجدت سلمي فتاة تبكي

لماذا تبكين؟

لا شئ

ما اسمك

نور

أنتِ فتاة جميلة ولطيفة فلا يجب أن تبكي، هلا أحضرتِ والدكِ غداً

أومأت الطفلة برأسها واحتضنت سلمي وذهبت

وفي اليوم التالي وصلت نور ومعها ولي أمرها، جاءت سلمي كالأميرة في ثوبها الفضفاض وخمارها الأنيق ألقت السلام وطلبت من نور أن تذهب للفصل ثم أكملت: أود أن أخبرك أن نور تبكي يوميا بلا داع فهلا أخبرتني السبب

توفيت والدة نور ومن وقتها وهي تبكي باستمرار وطلباتها كثيرة فنخشي أن نلبيها جميعا فتصبح فتاة مدللة

يوجد طرق كثيرة للرفض حتى لا نجرح مشاعرها وتعتقد أنكم تكرهونها فتشعر بالوحدة

لم يمضي يومان وبكت نور ثانية فطلبت منها أن يأتي ولي أمرها غدا، وعندما وصل في اليوم التالي سألته سلمي

لما تبكي نور؟

ضربتها

ولماذا؟

لتخبريها بأن تحضر ولي أمرها و قد أتيت

كان يمكنك أن تأتي دون ضربها

خشيت أن أتيت بدون سبب فيكون إحراجا لكِ

ولما كل هذا؟

هل تقبلين الزواج بي؟

عقدت الصدمة لسانها

لا أريد ردا الآن، فكري بالأمر اسمي محمد أحمد مصطفى طبيب أطفال سكني وعيادتي في العمارة المجاورة للمدرسة، سأعود بعد أسبوعين لتستخيري وتتخذي قرارا

تركها وحيرتها، عادت للمنزل لا تعرف ماذا تفعل توضأت وصلت استخارة وظلت تبكي وتدعو الله أن يلهمها الصواب

مر الأسبوعين كعامين حتى جاء إليها محمد وسألها عن رأيها

موافقة

أريد موعد لطلب يدك إذا

دمعت عيناها

أعرف كل شيء لذا ستحضر والدتي لأطلبكِ منها

تم الأمر بسرعة و بعد الشهر تم كتب الكتاب وأقيم حفل الزفاف تلفتت سلمي حولها قائلة أين نور

ستأتي مع والدها

سلمي والدهشة تملؤها أنت؟

أنا خالها؟

هل تمزح؟

لماذا؟

ظننتك والدها، عندما أتيت معها كولي أمرها

لأن والدها دائما يسافر

وافقت على الزواج بي وأنا مطلقة

نعم

والدتك تعلم

نعم

أخشى أنك لم تفيق بعد

أفيق! أنتِ حلمي منذ رأيتك وأنتِ سكن لقلبي وأنيس روحي

مرت الأيام وسلمي تشعر بالأنس والحب مع محمد وعائلتـه رزقهـا الله بمصطفى ويس وحبيبة

نظرت سلمي للسماء تحمد الله وتحدث نفسها

اختارت أمي زوجي فعذبني

واختار ربي زوجي فأكرمني

فهذا عطاء الله

فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين

تمت بحمد الله